

اجتهادات الجائحة.. والعلم!

ما قيمة العلم إن لم يسهم فى حماية البشر من الأوبئة والجائحات التى تفتك بهم؟ وكيف يمكن أن نثق فى العلم بينما العلماء يقفون عاجزين أمام فيروس شرس فاجأهم، ولم يتمكنوا من سبر أغواره وحل ألغازه؟ وهل يمكن الرهان على العلم مرة أخرى لحل مشاكل العالم والبشر؟ هذه، وغيرها، أسئلة طُرحت على نطاق واسع بصياغات مختلفة، ولغات متعددة، منذ بداية انتشار فيروس كورونا فى ربيع العام الماضى. ربما قلت هذه الأسئلة الآن، بدرجة أو بدرجات، بعد تطوير لقاحات مضادة للفيروس، ولكنها لم تنته.

حدث تصدع فى ثقة بعض الناس فى العلم، الأمر الذى ينطوى على خطر عظيم يطول فكرة التقدم وقدرة الإنسان على تحقيقه، ويدفع إلى شيوع تشاؤم بشأن المستقبل. فقد اقترنت فكرة التقدم بأنماط وطرق حياة تعتمد على العلم، وتُعلى قيمة العقل. فالعقل والعلم صنوان يجتمعان أو يفترقان. ولهذا يتعين ألا تُترك الأسئلة التى تدور حول تقصير العلم فى الاستعداد لجائحة من النوع الذى يشهده العالم الآن، وفى مواجهتها، دون نقاش موضوعى.

ولتكن نقطة البداية فى هذا النقاش، هى البحث فيما إذا كان العلم عجز حقًا عن الاستعداد للجائحة، وترك الناس بلا سند فى مواجهتها؟ وبشيء من التدقيق، نجد أن علماء كبارًا نبهوا منذ أكثر من عقد إلى ضرورة

الاستعداد لأوبئة وجوائح، بل بدأ بعضهم فى الدعوة إلى توفير المقومات اللازمة لتطوير لقاحات وأدوية منذ عام 2004 حين انتشر فيروس سارس فى شرق آسيا.

كان هؤلاء العلماء وغيرهم مستعدين لتسخير قدراتهم لتطوير لقاحات ومضادات فيروسية إذا توافرت المقومات التى طالبوا بها، وفى مقدمتها التمويل الكبير الذى تتطلبه الأبحاث فى هذا المجال، سواء من شركات الأدوية العملاقة، أو كبار أثرياء العالم أو حكومات الدول الكبرى. ولكن أحدا لم يهتم.

وهاهى الدعوة تتكرر الآن للاستعداد لأوبئة وجوائح محتملة، بل متوقعة، بعد كورونا0 وهاهم علماء جاهزون لإثبات قدرة العلم على تطوير مضادات فيروسية متعددة لمعالجة المصابين بفيروسات تنفسية جديدة يُتوقع ظهورها، وقد تكون أكثر شراسة. فهل من مستجيب؟